منهجية علماء العربية القدامى
في جمع لغة العرب في ضوء اللسانيات الحديثة

إعداد الدكتور
سعيد بن علي آل الاصلع
قسم اللغة العربيـة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيـة
جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

منهجية علماء العربية القدامى في جمع لغة العرب في ضوء اللسانيات الحديثة

سعيد بن علي آل الاصلع

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : salaslaa@kau.edu.sa

الملخص:

تسعى الدراسة الحالية للكشف عن جهود علماء العربية القدامى في جمعهم للغة العرب، ومنهجيتهم التي اتبعوها في ذلك، من خلال مقارنة منهجيتهم تلك بالمنهج اللساني المعاصر. ومن خلال تتبع منهجيتهم في جمع لغة العرب، أظهرت الدراسة أن علماء العربية القدامى قد سبقوا عصرهم في وضع منهجية علمية دقيقة تشابه ما يفعله اللسانيون المعاصرون في جمعهم للبيانات وتحليلها لأغراض البحث العلمي، ابتداء من وضع أهداف الدراسة، ثم تحديد منهجية البحث، وكيفية جمع البيانات وتحليلها. فعلماء العربية القدامى حددوا هدفهم، وهو جمع لغة العرب للحفاظ على لغة القرآن، ثم حددوا العينة المستهدفة التي سيجمعون منهم اللغة، فكانوا الأعراب الذين لم يحتكوا بغيرهم من الأعاجم، ثم وضعوا الاختبارات والمعايير لاختيار المشاركين في جمع البيانات، ثم جمعوا تلك البيانات في مكانز لغوية، ثم حللوها كميا وكيفيا وفق معطيات عصرهم.

الكلمات المفتاحية:جمع البيانات، الاحتكاك اللغوي، التحات اللغوي، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي.

Ancient Arab Scholars' Methodology of collecting the Language of the Arabs in the Light of Modern Linguistics

By: Said Bin Ali Al – Asla
Department of Arabic Language
Faculty of Arts and Humanities
King Abdul- Aziz University
K.S.A.

Abstract

The present research tries to uncover the efforts of the ancient scholars of Arabic language in their endeavor to collect the language of the Arabs and the methodology they followed. The research compares the methodology of the ancient scholars to the contemporary linguistic approach. By tracing the methodology applied by the ancient scholars in collecting the language of the Arabs, the present research has found out that the ancient scholars have predated their age as they managed to establish a precise scientific methodology like what modern linguists do in collecting and analyzing data for scientific research purposes. The ancient scholars began by setting the objectives of the study, then they specified the approach of their research as well as the way they collect and analyze data. The ancient scholars of Arabic language have defined their goal which is to collect the language of the Arabs and to preserve it as the language of the Holy Qur'an. Next, they selected the targeted sample from which they would collect the language. This sample included the Bedouins who did not encounter non-Arabs. After that, the ancient scholars developed tests and criteria to select participants in collecting data. Finally, they kept such data in linguistic places, then analyzed it quantitatively and qualitatively according to their age.

Key Words: collecting data, language contact, language attrition, sociolinguistics, psycholinguistics..

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـــة:

إن المتأمل في جمع لغة العرب وتدوينها ومن ثم نشأة علوم العربية، ليدرك أنها كانت تهدف لجمع وحماية لغة القرآن الكريم، فقد ظهرت علوم العربية بفروعها المختلفة متعلقة بكتاب الله؛ فلولا القرآن ما كانت العربية، فقد حفظ الله لنا لغتنا العربية بحفظ كتابه، كما قال ﷻ: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩]. فالمتتبع لعلوم العربية يجدها نشأت خدمة لكتاب الله تعالى، ومن هذه العلوم على سبيل المثال صناعة المعجم العربي وبدايات تأليف المعاجم العربية، فنجد أن الدراسات تعيد نشأتها إلى عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- حينما كان يُسأل عن معاني بعض ألفاظ القرآن، فكان يفسرها للناس، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من شعر العرب، فيما عُرف باسم "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس"، ولذلك يُعد تفسير ابن عباس على هذا النحو نواة للمعاجم العربية، فقد بدأ التأليف المعجمي عند العرب من خلال التأليف في غريب القرآن مثل: كتاب غريب القرآن لأبي سعيد البكري (ت ١٤١ هـ)، وكتاب مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، وهكذا تطورت صناعة المعجم العربي.

وكذلك الحال بالنسبة لعلوم البلاغة، حيث بدأ التأليف البلاغي عند العرب لخدمة القرآن الكريم، كما رواها أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) في حديثه عن سبب تأليفه لكتاب مجاز القرآن، حيث دار نقاش في مجلس الفضل بن الربيع في البصرة حول قوله تعالى: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" وأن العرب لم تعرف رؤوس الشياطين وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، فأجاب أبو عبيدة على تلك المسألة بأن الله خاطب العرب على قدر كلامهم، ثم استشهد بقول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغُول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يَهُولُهم أُوعِدوا به، وبعد تلك المناقشة وضع أبو عبيدة كتابه مجاز القرآن الذي كان النواة الأولى لنشأة علم البلاغة العربية.(١)

وكذلك الحال بالنسبة لنشأة علم النحو، فبعد الفتوحات الإسلامية واختلاطهم بالأمم والحضارات المجاورة دخل كثير من الأعاجم الإسلام، واحتكت العربية بلغات تلك الأمم والحضارات، وهكذا بدأ اللحن يتسلل إلى متحدثي العربية، فكان لابد من وضع ضوابط وقواعد تضبط اللغة. وهكذا نشأ علم النحو بسبب انتشار ظاهرة اللحن، ومن أمثلة ذلك ما يُروى أنه قدم أعرابيٌّ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: مَن يُقرئني شيئًا مما أنزل الله تعالى على محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ فأقرأه رجلٌ سورة "براءة"، فقرأ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾ بالجَرِّ، فقال الأعرابي: أَوَقَد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برِئ مِن رسوله، فأنا أبْرأ منه. فبلغ عمر -رضي الله عنه- مقالةُ الأعرابي: فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي قدِمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت مَن يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة "براءة"، فقال: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾، فقلتُ: أَوَقَد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكنِ الله تعالى برِئ من رسوله، فأنا أبرأ منه.

فقال عمر -رضي الله عنه-: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، قال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر -رضي الله عنه- ألا يُقرئ القرآن إلا عالِم باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو.(٢)

فنشأة علوم العربية لم تكن اعتباطية، بل ثمة أسباب ومشاكل لغوية أدت إلى ظهور علوم العربية لحل تلك المشاكل المتمثلة بشكل كبير في شيوع اللحن والضعف اللغوي، من خلال

(١) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص١١٣.

(٢) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص١١٢.

استقراء لغة العرب وجمعها وفق منهجية مؤطرة بمكان محدد وزمان محدد، ورغم قلة الإمكانيات إلا أن علماء العربية في تلك الحقبة اتبعوا مناهج علمية جادة وجاءت اللسانيات الحديثة لتكشف جهودهم وسبقهم لفهم كثير من القضايا اللسانية في العصر الحديث، وتأتي هذه الدراسة ساعية لإبراز جهودهم في محاولة لتقريبها للدارسين المهتمين بالحقل اللساني الحديث ممن تعلموا اللسانيات الغربية الحديثة وحذقوها ولكنهم لم يتعمقوا كثيرا في تاريخ نشأة علوم العربية وتدوينها.

في المقابل فإن الدارس للسانيات الغربية الحديثة ممن لديه معرفة وفهم بجهود علماء العربية القدامى أمثال أبي عمرو بن العلاء، وابن إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وخلف الأحمر، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، ويونس، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، والكسائي وغيرهم من علماء العربية ليدرك أنهم سبقوا زمانهم في جمعهم للغة العرب وتدوينهم وتوصيفهم وتقعيدهم لها. وإن ما بذلوه من جهود والمناهج التي اتبعوها في جمعهم للغة العرب وتوصيفها وتقعيدها يشابه إلى حد كبير ما يفعله اللسانيون المعاصرون وما يتبعونه من نظريات ومناهج.

في مجال اللسانيات الاجتماعية، يمكن جمع البيانات[١] من خلال أساليب مختلفة مثل الاستبانات، المقابلات، الملاحظة، إضافة إلى تحليل المكانز اللغوية (Corpus Linguistics). وفيما يأتي نظرة عامة موجزة على بعض الأساليب الشائعة المتبعة لجمع البيانات الشائعة في مجال اللسانيات الاجتماعية في يومنا الحاضر.

- الاستبانات: توزيع الاستبانات هو أسلوب شائع ومتبع لجمع المعلومات من عدد كبير من الأشخاص. ويمكن تصميمها لجمع البيانات حول استخدام اللغة والمواقف والتصورات داخل مجتمع ما أو سكان معينين.

(١) للمزيد يُنظر: . Androutsopoulos J. (2013). **Online data collection**

- المقابلات: تُعد المقابلات اللغوية مع المشاركين ركيزة أساسية ومهمة في مجال البحث اللغوي الحديث. فهي فعّالة في جمع البيانات بشكل منهجي عبر الأساليب السياقية للاستخدام كدليل أساسي لتصنيف اللهجات الاجتماعية والتغيير اللغوي.
- الملاحظة: وهي من أهم الأساليب خلال جمع البيانات، بحيث تتضمن الملاحظة مراقبة وتسجيل استخدام اللغة في الواقع الطبيعي المباشر للمجتمع اللغوي المدروس. وأسلوب الملاحظة يمكن أن يوفر رؤى قيمة حول سلوك أهل اللغة وتفاعلاتهم داخل سياقات مختلفة.
- تحليل المكانز اللغوية: وهذه المرحلة تأتي مرحلة تالية لجمع البيانات، فيقوم الباحث اللساني بتحليل اللغة والتباين والتغيير في اللغة من خلال استخدام مجموعات كبيرة من البيانات اللغوية الأصيلة المدونة والمحفوظة في المكانز اللغوية. يمكن استخدام المكانز لدراسة التباين اللغوي المتعلق باللهجات الإقليمية والجنسانية والجنسية والعمرية والعرقية ومكان العمل وغيرها.

فالباحث في مجال اللسانيات المعاصرة عندما يريد دراسة لغة من اللغات أو مجتمع لغوي من المجتمعات اللغوية، فإنه يحدد الهدف من الدراسة، ثم يذهب للمجتمع اللغوي ويختار المشاركين الذين سيجمع منهم البيانات بناء على الهدف الذي يريد تحقيقه من الدراسة، ثم يجمع اللغة والبيانات منهم من خلال الاستبانات، المقابلات، الملاحظات، وقد يكتفي بإحدى هذه الوسائل أو قد يوظف بعضها أو قد يوظفها جميعا خلال جمعه للبيانات، ثم بعد ذلك يضع البيانات/ اللغة المجموعة في مكنز لغوي، ثم يقوم بتحليله تحليلا وصفيا كيفيا أو كميا.

والمتأمل لجهود علماء العربية القدامى في جمعهم للغة العرب، يجد أنهم قد سبقوا عصرهم، ووظفوا الأساليب نفسها التي يتبعها اللسانيون المعاصرون في جمع اللغة وتحليلها،

باستثناء أسلوب الاستبانات التي لم تكن معروفة في عصرهم. في المقابل نجدهم قد وظفوا أسلوب الملاحظة والمقابلات وتسجيل المحادثات ثم تدوينها في مكانز لغوية، ثم اتبعوا المنهج المختلط من المنهجين الوصفي والكمي في تحليل تلك اللغة التي جمعوها. ولذلك تأتي هذه الدراسة لتكشف الجوانب المشتركة في هذا الخصوص، وتبين أوجه التشابه، والفكر اللساني عند علماء العربية القدامى. وبعبارة أخرى فإن هذه الدراسة ستركز على قضايا لسانية معاصرة تشمل: منهجية جمع اللغة "البيانات"، قضايا لسانية اجتماعية تشمل: اللهجات، اللهجة المرموقة، واللهجات المرذولة، الازدواجية اللغوية، الاحتكاك اللغوي، انحسار اللغة وتآكلها، اختيار المشاركين في جمع البيانات، وعمل تقييم لغوي واختبارات لغوية قبلية لهم، اختبار الكفاءة اللغوية من خلال اختبار الفطرة أو السليقة اللغوية، وهو ما يعرف اليوم في الحقل اللساني بـ"Grammaticality/Grammaticality Judgment"، إضافة إلى قضايا لسانية أخرى تناقشها هذه الدراسة وتكشف عن جذورها في فكر علماء العربية القدامى ومنهجيتهم العلمية.

لقد قد نهج علماء العربية القدامى في جمع لغتهم منهج اللسانيين الاجتماعيين المعاصرين في البحث عن المادة اللغوية من المجتمع المحلي وما تتضمنه المادة اللغوية المجموعة من بيانات تكشف عن ثقافة المجتمع واستخدامه للغة. هذا المنهج الذي اتبعوه هو ما يعرف اليوم بالبحث الميداني، حيث يتم فيه جمع اللغة الحقيقية من ميدانها ومجتمعها اللغوي، فقد ذهبوا إلى البادية وعايشوا أهلها[١] وحادثوهم واستمعوا لكلامهم ودونوا عنهم وفق قواعد معينة ومنهجية معينة مضبوطة بضوابط ستكشفها هذه الدراسة.

(١) وهذا المنهج البحثي يتوافق مع المنهج الإثنوقرافي (**Ethnography**) الذي يتبعه بعض الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا واللسانيات الاجتماعية.

هذا التلقي والجمع للغة كان يسميه علماء العربية القدامى بـ"السماع". وهو الأصل الأول والمصدر الأول الذي اعتمدوه في جمعهم للغة العرب، وقد فرقوا بين السماع والرواية، فالسماع هو المادة التي جمعوها بأنفسهم وسمعوها مشافهة من الأعراب، فالسماع هو الأخذ المباشر من أهل اللغة، في حين أن الرواية كانوا يقصدون بها جمع المادة اللغوية، ولكن عن طريق طرف آخر يكون واسطة بين مصدر المادة اللغوية والعالم الذي يجمع اللغة(١).

فالمتتبع أخبار علماء العربية القدامى يجد أنهم أجهدوا أنفسهم في جمعهم للغة العرب ومشافهتهم للأعراب في بواديهم، وشرقوا وغربوا وجالدوا ذلك الشهور والأعوام، ولم يعبؤوا بما نالهم من نصب وتعب. كل ذلك تفانيا في التثبت بأنفسهم من سلامة ما يروون عن العرب ولخدمة لغة القرآن الكريم والحفاظ عليها نقية، فشافهوا الأعراب في بواديهم وأوديتهم وسمعوا منهم في أخبيتهم ومراعيهم وأسواقهم ومجتمعاتهم، ودونوا كل ذلك عنهم.

ولكن يبقى السؤال الذي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه، وهو:

ما هي المنهجية التي اتبعها علماء العربية القدامى في جمعهم للغة العرب وتدوينهم لها في ضوء اللسانيات الحديثة؟

تسعى هذه الدراسة الحالية إلى الإجابة عن هذا السؤال وتهدف إلى توصيف منهجية علماء العربية القدامى والطرائق التي اتبعوها ووظفوها في جمعهم وتدوينهم للغة العرب، ومن ثم تحليلها وتوصيفها من خلال مقارنة تلك المنهجية والوسائل بمنهجيات اللسانيات الحديثة المعاصرة.

(١) علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، ص٨٥-٨٦.

منهجية علماء العربية القدامى في جمع البيانات وتحليلها :

بعد أن احتك العرب بغيرهم من الأمم المجاورة لجزيرة العرب من غير العرب، شاع اللحن وانتشر، فكانت ثمة محاولات وجهود لتدوين لغة العرب الحقيقية، التي بها نزل القرآن الكريم، وبها كان يتحدث النبي محمد -ﷺ- ولكن علماء العربية القدامى عندما حاولوا البحث عن مصادر أصلية ليجمعوا لغة العرب، لم يكن أمامهم سوى الأعراب الذين ما زالوا محافظين على سليقتهم اللغوية من دون شوائب العجمة. وهنا تظهر عبقرية ذلك الجيل من علماء العربية، فقد كانت عقليتهم عقلية اللسانيين حيث تنبهوا لعدد من القضايا اللسانية المعاصرة، وإن لم يسموها بأسمائها المعروفة في يومنا الحاضر. وأول قضية لسانية تنبهوا لها، كانت الاحتكاك اللغوي، وتأثيره على السليقة اللغوية من ناحية اللسانيات الاجتماعية وتأثيرها على المجتمع، وكذلك من ناحية إدراكية أو من وجهة نظر اللسانيات النفسية، وتأثيرها على اللغة في الدماغ.

الاحتكاك اللغوي وتأثيره Language Contact Influence

عندما بدأ علماء العربية القدامى بجمع لغة العرب وتدوينها، تنبهوا جيدا وفطنوا إلى قضية الاحتكاك اللغوي وما ينتج عنه من نتائج على لغة الإنسان نفسه في الدماغ من منظور علم اللغة النفسي وما ينتج عنه من تأثير على المجتمع من منظور لساني اجتماعي. فالاحتكاك اللغوي ظاهرة لغوية لها تأثيراتها على اللغة في دماغ الإنسان وتدرس هذه التأثيرات من منظور علم اللغة النفسي، ومن هذه الظواهر: الخلط اللغوي، التناوب اللغوي، اللغة البينية، الاقتراض اللغوي، انحسار اللغة في الدماغ، وربما موتها من بعد ذلك ... إلخ (آل الاصلع، ٢٠١٩؛ Kootstra, 2015; Winford, 2005)[١].

(١) التناوب اللغوي بين الفصحى والعامية لدى المجتمع السعودي في تويتر وانعكاساته على تعليم العربية للناطقين بغيرها، سعيد آل الاصلع.

=

وكذلك الحال للمجتمع، فالمجتمع اللغوي الذي يحدث فيه احتكاك لغوي بين لغتين فأكثر، قد تظهر فيه عدة نتائج تعتمد على طبيعة الاحتكاك، ومن النتائج التي تنتج عن الاحتكاك اللغوي في المجتمع اللغوي وتهتم اللسانيات الاجتماعية بدراستها: التناوب اللغوي، اللغة المشتركة، اللغة المختلطة، اللغة المهجنة، اللغة المولدة، انحسار وتحات اللغة، وموت اللغة ... إلخ (Thomason, 2001; Winford, 2005)[١].

فالاحتكاك بين اللغات عامل مهم يؤثر تأثيرا مباشرا فيها، وهذا التأثير قد يكون إيجابيا وقد يكون سلبيا، فقد يقويها ويجعلها اللغة المسيطرة والمهيمنة، وفي المقابل قد يضعفها، بل ربما أدى إلى انحسارها ثم موتها. ومما تجدر الإشارة إليه أن الاحتكاك قد يكون احتكاكا عنيفا كالاحتكاك الذي يحدث في الحروب والصراعات بين المجتمعات، ومن ثم يَفرِض المنتصر لغته على المجتمع المغلوب. وقد يكون الاحتكاك هادئا ولطيفا كالاحتكاك الذي ينتج عن قيام علاقات صداقة وحوار وتجارة وسياحة وغيرها من أسباب الاحتكاك بين المجتمعات اللغوية. فالاحتكاك يؤدي إلى تداخل اللغات، ومتى احتكت لغتان في مكان واحد، فإنه لابد أن تتأثر كل منهما بالأخرى وتؤثر فيها، بغض النظر عن هل تغلبت إحداهما على الأخرى، أم تعايشتا وبقيت كل واحدة منهما جنبا إلى جنب بجوار أختها.[٢]

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حيث كان له نظرة لسانية اجتماعية تتوافق مع ما ذكره سابير (Sapir,1921) عن الانحراف اللغوي والتغير اللغوي حيث إن عزلة المجتمع اللغوي تسهم في

A psycholinguistic perspective on code-switching: Lexical, structural, and socio-interactive processes

Contact-induced changes: Classification and processes, Winford.

Language contact, Thomason.

(1) Contact-induced changes: Classification and processes, Winford.

Language contact, Thomason.

(٢) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص١٦٦.

صون اللغة وتحافظ على نقائها، بينما الاحتكاك يسهم في تبدل اللغة وتغير خصائصها، وعلى قدر الاختلاط والاحتكاك يكون التبدل والتغير في اللغة، فقال: "وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأظئارا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى، وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالقة والإفرنجة. وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم، أهل لغة أخرى مخصوصة بهم، تخالف لغة مضر، ويخالف أيضا بعضها بعضا، كما نذكره وكأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم، والله يخلق ما يشاء ويقّدر"(١).

ومما سبق بيانه عن تأثير الاحتكاك بين اللغات على اللغات المحتكة ببعضها، فإن علماء العربية القدامى قد استشعروا خطورة هذه القضية على اللغة، لذلك استشعروا فساد لغة بعض القبائل العربية نتيجة احتكاكهم بالأقوام والأمم التي تجاور العرب، فلما أرادوا الحفاظ على لغة القرآن وجمعها من القبائل العربية توغلوا في الصحاري يلتمسون ضالتهم لدى القبائل العربية الموغلة في البداوة والصحراء النائية بنفسها عن الاحتكاك بالعوامل الخارجية المؤثرة في لغتهم، تلك القبائل الأكثر انعزالا عن التأثر بالأمم والشعوب المجاورة للعرب، قال الفارابي: "والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس وتميم وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين"(٢).

وقال السيوطي أيضا في كتاب الاقتراح: "والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي

(١) العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، ج١، ص٧٧١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٦٧.

ويُنظر أيضا: ميزان الذهب في معرفة لهجات العرب، عبد التواب الأكرت.

وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه... ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم: لم يؤخذ من لخم ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط. ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بصلاتهم بغير العربية. ولا من تغلب ولا النمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية. ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس. ولا من عبد القيس؛ لأنهم كانوا من سكان البحرين مخالطين للهند والفرس. ولا من أزد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفرس. ولا من أهل اليمن أصلا؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم. ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم. ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم"[1].

ومن ذلك أيضا تنبههم لنتيجة ذلك الاحتكاك لا سيما بعد الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب التي فتحوها، يقول ابن الأثير: "فكان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الزلل، إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبش والنبط، وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم، وأفاء عليهم أموالهم ورقابهم، فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن وتداخلت

(١) الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص٩١-٩٢.

اللغات"[١].

وقال ابن خلدون: "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك، الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك المَلَكَة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعرِّبين من العجم. والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها؛ لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك المَلَكَة رأسًا ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه. مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابًا، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"[٢].

هذه النصوص وغيرها تدل على تنبه علماء العربية لقضية الاحتكاك اللغوي وتأثيرها على اللغات المحتكة ببعضها الآخر؛ لذلك لما جمعوا لغة العرب تجنبوا القبائل التي احتكت بغيرها من الأمم المجاورة لجزيرة العرب من غير العرب.

فجمع علماء العربية القدامى للغة العرب وتدوينهم لها لم يكن اعتباطيا مجردا من المنهجية العلمية، بل كانوا يتبعون منهجا دقيقا والتزموا به في جمع لغة العرب وتدوينها. هذه المنهجية تتوافق مع كثير من المفاهيم اللسانية في جمع البيانات وتحليلها في يومنا الحاضر. ومن ذلك

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك ابن الأثير، ج١، ص٥.

(٢) العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، ج١، ص٧٥٤.

تنبههم لنتائج الاحتكاك اللغوي وتأثيره على اللغة والسليقة اللغوية، كما ذُكر آنفا.

وكذلك عند جمعهم للغة العرب، اتبع علماء العربية القدامى عدة وسائل وطرائق مختلفة لجمع اللغة، فمن ذلك اختيارهم للعينة المشاركة الذين عنهم يجمعون اللغة، فقد كانوا يعملون لهم اختبارات دقيقة لاختيار من ستُجمع منهم اللغة، أو كما يُسمون اليوم في لغة البحث العلمي "مصادر البيانات The Subjects/The Participants) فكانوا يختارونهم بناء على نتائج تلك الاختبارات القبلية، أو السمعة والشهرة بأن المشارك في جمع البيانات هو من الأعراب "أكلة اليرابيع والبولة على أعقابهم" فإن لم ينطبق عليهم الشرط أو كانوا غير معروفين فإنهم يخضعونهم للاختبارات القبلية التي يتبينون فصاحة المشاركين في جمع اللغة وسلامة سليقتهم اللغوية.

الاختبارات القبلية لمن تؤخذ عنهم اللغة language assessment

كان علماء العربية القدامى يحتاطون عند جمع اللغة، فكانوا حريصين على الحصول على بيانات طبيعية عفوية ونقية (Spontaneous Data) من متحدثين أصليين للغة (Native Speakers)؛ وهذا يتفق مع ما يسميه علماء اللسانيات الحديثة حجية وسلامة لغة من تحدث باللغة وهو من متحدثيها الأصليين فإن لغته حجة، فقد كان يُذكر أن يونس وشيخه أبا عمرو كانا يتحرزان عن تخطئة العربي ويعتمدان قوله وإن خالف القياس[1]. ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يتأكدوا من سلامة السليقة اللغوية لمن كانوا يأخذون عنهم اللغة، لذلك كانوا يعمدون إلى إجراء مقابلات واختبارات قبلية لاختبار المشاركين "الأعراب" الذين يجمعون منهم اللغة حتى يتأكدوا أن هؤلاء الأعراب مازالوا على سجيتهم وطبيعتهم اللغوية، لم يحتكوا بغيرهم ولم يتأثروا بعوامل خارجية، ومن ذلك أن علماء العربية القدامى يختبرونهم عن طريق الحديث معهم

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ص١١٠.

وتعمد اللحن في اللغة حتى ينظروا هل يفهم الأعراب لغتهم الملحونة، كما قال الجاحظ: "وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا: مكره أخاك لا بطل. و: إذا عز أخاك فهن. ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو. ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان"(١).

ومن الاختبارات القبلية التي كانوا يجرونها ليتحققوا من أهلية المشاركين "الأعراب" الذين منهم تُجمع اللغة، وعنهم تُدوَّن، هو اختبارهم عن طريق التلاعب بالمفردات، حيث إن بعض المفردات أضحت لها مصطلحات متعارف عليها بين علماء العربية القدامى، كالهمز والنبر والجر، وغيرها من المصطلحات، ومن الأمثلة على ذلك، أن الأصمعي قال لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال الأعرابي: تهمِزها الهرّة. فالأصمعي يريد التحقق من أن الأعرابي مازال على فطرته وسليقته اللغوية وليس لديه معرفة بالمصطلحات اللغوية، فكلمة "تهمز" كان يقصد الأصمعي منها: تحقيق الهمزة وليس تسهيلها أو حذفها، بينما الأعرابي فهم معناها اللغوي الأصلي، فقد فهم معنى سؤالهم: هَمَزَ الشيء: عَضّه، هَشَّمه، صَرَعَه.

فالأعرابي لا علم له بحالات الهمزة من النبر أو التحقيق أو التسهيل أو الحذف، فهو لا يعرف المصطلحات العلمية (Metalanguage) وإنما يعلم اللغة والمعنى اللغوي فقط للكلمة، ومن خلال مثل هذه الاختبارات كان علماء العربية القدامى يميزون بين الأعراب، من حيث من منهم مازال محافظا على سلامة سليقته اللغوية، ومازال كذلك محافظا على أحاديته اللغوية (Monolingual). وذلك لعلمهم بأهمية أحادية اللغة للأعراب الذين عنهم جمعت اللغة، فالتعددية اللغوية أو الثنائية اللغوية تؤثر على لغة الإنسان الأولى، وفي هذا الموضوع يقول

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ج١، ص١٤٨.

الجاحظ: "ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها".

التحات اللغوي Language Attrition

كذلك من القضايا اللسانية الحديثة التي تنبه لها علماء العربية القدامى، هي قضية انحسار اللغة وتآكلها أو ما يُسمى في العصر الحاضر بـ(Language Attrition). يحدث الانحسار اللغوي عندما تحتك لغة الإنسان بلغة أخرى، وتكون اللغة الأخرى هي اللغة المهيمنة أو المسيطرة أو الأكثر استخداما، فإن لغة الإنسان الأولى أو اللغة التي لا يستخدمها في أغلب أوقاته تبدأ بالتحات والانحسار، بل إنها ربما قد تموت (Thomason, 2001; Winford, 2005)[1]. ولذلك تنبه علماء العربية للأعراب الذين جمعوا عنهم اللغة، لا سيما من انتقل منهم للعيش في المدن كالبصرة التي انتقل إليها كثير من الأعراب وخاصة من قبائل قيس وتميم للعيش فيها. إضافة إلى ذلك كانت البصرة التي استوطنها كثير من الأعراب قريبة من سوق المربد الذي اتخذه العرب سوقا في الجهة الغربية منها مما يلي البادية، فمثل تلك الانتقالات تسهم في احتكاك الأعراب بغيرهم، وربما تأثرت سليقتهم اللغوية؛ لذلك فقد كان علماء العربية القدامى يعملون للأعراب الذين ارتحلوا إلى المدن اختبارات لغوية للتأكد من سلامة من أخذوا عنه من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة وصونهم فطرهم من تسرب الوهن إليها من رطانة الحضارة، بل إنهم كانوا يتحرزون عنهم إذا لمحوا عليهم ضعفا اعتراهم، فكانوا يختبرونهم أحيانا قبل التقبل لما يروون عنهم، وقد عنون ابن جني فصلا في كتابه الخصائص بعنوان "باب في العربي الفصيح ينتقل لسانه"، ومما قال

(1) *Language contact*, Thomason.

Contact-induced changes: Classification and processes, Windford.

فيه: "ذلك كما يحكى من أن أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خَيرة لما سأله فقال: كيف تقول استأصل الله عِرْقَاتهم؟ ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة؛ لان جلدك"[١].

السليقة اللغوية ودورها في إصدار الحكم النحوي Grammaticality Judgment

من القضايا اللسانية المعاصرة التي يعتمدها اللسانيون في تحليلهم للكفاءة اللغوية هي قضية السليقة اللغوية من خلال إصدار أحكام نحوية على الجملة للحكم عليها من حيث سلامتها التركيبية، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة باسم (الحكم النحوي Grammaticality Judgement)، وهي أداة لاختبار النظام اللغوي لدى الأفراد، واختبار سليقتهم اللغوية لمعرفة مدى قدرتهم على الحكم على التركيب من حيث الصحة والخطأ، وهل التركيب صحيح أو غير صحيح، من خلال ثلاثة أحكام، وهي: التركيب صحيح، التركيب غير صحيح، التركيب مقبول إلى حد ما[٢] (Haegeman, 1994). فلم يكونوا يأخذون اللغة أو البيانات اللغوية ويجمعونها إلا ممن يوثق بسلامة لغته وفصاحته، وكانوا يصلون لهم بطرق مختلفة، كمعرفة السكن والإقامة ومن خلالها يستطيعون معرفة إذا كان مصدر اللغة قد خالط الأعاجم أو لا، كذلك كانوا يعتمدون على حدسهم وانطباعهم عن مصدر اللغة أو كما يسمى اليوم في مجال اللسانيات الحديثة " The Participant"، فقد قال ابن جنى في كتابه الخصائص: "سألت الشجري يوما فقلت: يا أبا عبد الله كيف تقول: ضربت أخاك، فقال: كذاك، فقلت: أفتقول: ضربت أخوك، فقال: لا أقول: أخوك، أبدا. قلت: كيف تقول: ضربني أخوك، فقال: كذاك، فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبدا، فقال: أيش ذا! اختلفت جهتا الكلام"[٣].

---

(١) الخصائص، ابن جني، ج٢، ص١٤.

(2) **Introduction to Government & Binding Theory Haegeman P** 6-7.

(٣) الخصائص، ابن جني، ج١، ص٢٥١.

في علم اللغة النفسي.

السؤال مع عدم إعطاء فرصة للدماغ للتفكير؛ لأجل الحصول على لغة عفوية، ويتحدث الأعرابي "المشارك في الدراسة" على سجيته ووفق سليقته اللغوية. ومن الأمثلة على اتباع علماء العربية القدامى لهذه الطريقة في اختبار من تؤخذ عنهم اللغة ومنهم تُجمع من خلال اختبار سليقتهم اللغوية، واتباع المنهج اللساني النفسي في اختبار سليقة المشاركين في الدراسة، وذلك من خلال اتباع تقنية الأسئلة السريعة مع عدم إعطاء الدماغ فرصة للتفكير (Fischer, & Engelhardt, 2016)، حيث يقول ابن جني في سؤاله لأبي عبد الله الشجري: "وسألته يومًا فقلت له: كيف تجمع " دكانًا " فقال: دكاكين قلت: فسرحانًا قال: سراحين قلت: فقرطانًا قال: قراطين قلت: فعثمان قال: عثمانون. فقلت له: هلا قلت أيضًا عثامين قال: أيش عثامين! أرأيت إنسانًا يتكلم بما ليس من لغته والله لا أقولها أبداً"(١).

ومنها أيضا: "قال ابن جنِّي: وسألته يومًا: يا أبا عبد الله، كيف تجمعُ محرنجمًا؟ وكان غرضي من ذلك أنْ أعلم ما يقوله؛ أيُكسِّر فيقول: "حَراجم" أم يُصحِّح فيقول: "محرنجمات"؟ فذهب هو مذهبًا غير ذَيْنِ فقال: وإيش فرَّقَه حتى أجمعَه! وصدَق؛ وذلك أنَّ المحرنجم هو المجتمِع. يقولها مارًّا على شَكِيمته غير مُحِسٍّ لما أريدُه منه، والجماعة معي على غاية الاستِغراب لفَصاحته... قلت له: فدَعْ هذا؛ إذا أنت مَرَرْتَ بإبلٍ محرنجمة وأخرى محرنجمة وأخرى محرنجمة تقول: مررت بإبل ماذا؟ فقال – وقد أحسَّ الموضع –: يا هذا، هكذا أقول: "مررت بإبلٍ محرنجمات"، وأقامَ على الصحيح البتَّة، استِيحاشًا من تكسير ذَوات الأربع لمصاقبتها ذَوات الخمسة التي لا سبيلَ إلى تكسيرِها، لا سيَّما إذا كان فيها زيادةٌ"(٢).

(١) الخصائص، ابن جني، ج١، ص٢٤٣.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج٤، ص١٥٩٧.

وكذلك من الأمثلة على ذلك، ما ذكره ابن جني بأن الأعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها، حيث قال ابن جني: "سألت مرة الشجري أبا عبد الله ومعه ابن عمٍّ له دونه في فصاحته، وكان اسمع غصنا فقلت لهما: كيف تحقّران "حمراء"؟ فقالا: حميراء. قلت: فسوداء، قالا: سويداء. ووالیت من ذلك أحرفًا وهما يجيئان بالصواب، ثم دسست في ذلك "عِلْبَاء" فقال غصن: "علیباء" وتبعه الشجري. فلما همَّ بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال: آه! علیبيّ ورام الضمة في الياء"(١).

فالأمثلة السابقة تدل وتؤكد على تنبه علماء العربية القدامى لأهمية السرعة وعدم إعطاء فرصة للدماغ ليفكر في الصيغة أو التركيب، وذلك كما يفعل علماء اللغة النفسيين في يومنا الحاضر لاختبار السليقة اللغوية للمشاركين في الدراسات اللسانية الحديثة.

كذلك نجد أنهم قد سبقوا في وضع المكانز اللغوية Corpus Linguistics

خلال جمع علماء العربية القدامى للغة العرب، لم يكتفوا بالاستماع والحفظ فقط، بل كانوا يدونون ما يسمعونه ويكتبونه، وهم بهذه الطريقة كانوا يُكوِّنون ويصنعون مكانز لغوية استخدموها فيما بعد لتحليل لغة العرب، كما هو واضح في كتاب سيبويه المليء بالشواهد من القرآن الكريم وأشعار العرب وكلامهم.

وفي يومنا الحاضر ظهرت المكانز اللغوية فيما يسمى بـ"Corpus Linguistics"، ومن المعاصرين من يترجمه بترجمات مختلفة، منها: "لسانيات المتون". وقد عُرِّفت لسانيات المتون أو المكانز اللغوية بتعريفات مختلفة، من أبرزها، تعريف ماكنري وولسون (McEnery & Wilson, 2005, p1) بأنه: "دراسة اللغة باعتماد أمثلة من الاستخدام اللغوي الواقعي"(٢). ومن

(١) الخصائص، ابن جني، ج٢، ص ٢٨.

(2) ***Corpus Linguistics*** **McEnery & Wilson P1.**

التعريفات الواردة لتعريف المكانز "Corpus" هو تعريف كريستال (Crystal, 2008, p117) الذي عرف المكنز بأنه: "مجموعة من البيانات والمواد اللغوية إما على هيئة نصوص مكتوبة أو تفريغ للغة المنطوقة يمكن استخدامها ابتداء للتوصيف اللغوي، أو وسيلة لتأكيد فرضيات معينة حول لغة ما"(١).

كذلك عرفها (الخولي، ١٩٩١) بأنها: "الأقوال المحكية أو المكتوبة التي يعتبرها الباحث هدفا للتحليل اللغوي أو مصدرا للبيانات اللغوية"(٢).

وبالنظر إلى ما فعله علماء اللغة العربية من حيث جمعهم للغة العرب وفق المنهجية التي ذُكرت أعلاه، وبعد أن جمعوا ما أمكنهم جمعه، نجدهم كونوا في البداية مكانز لغوية، ثم بعد أن جمعوا اللغة أخذوا بتحليل ما جمعوه تحليلا كميا وكيفيا. وكتاب سيبويه مثال على ذلك. فقد سأل الكسائي الخليل: "من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينه حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ"(٣)، وقد أخذ العلماء مادة بحثهم اللغوي من أفواه الأعراب عن طريق الرحلة الى البادية والحصول على اللغة من أفواه الأعراب المقيمين في كبد الصحراء، فهذا الخليل بن أحمد يأخذ علمه من بادية الحجاز ونجد وتهامة، وأبو عمرو بن العلاء جاور البدو أربعين سنة.

كذلك الخليل بن أحمد بعد أن جاب بوادي الحجاز ونجد وتهامة مواجها العرب في صحرائها مستمعا لأحاديثها يعود إلى البصرة، ويستجمع كل ما سمع ويشحذ ذهنه الحاد ويفرغ للبحث عن لآلئ هذا الفن من بحر علمه العميق حتى جمع أصوله وفرع تفاريعه وضم كل شيء

(1) *A Dictionary of Linguistics and Phonetics* Crystal p117.

(٢) معجم علم اللغة النظري، محمد الخولي، ص ٦٠.

(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، ج٢، ص٢٥٨.

إلى لِفْقِهِ، وساق الشواهد وعلل الأحكام وبلغ في ذلك غاية محمودة فاقت كل من سبقه، بيدَ أنه اكتفى عن تدوينه موسوعة فيه بطلبته الذين كان يملي عليهم(١).

"وقال ابن دريد في أماليه: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأَصمعي قالَ: سمعت صبية بحمى ضرية يتراجزون، فوقفت وصدوني عن حاجتي، وأقبلت أكتب ما أسمع، إذ أقبل شيخ فقال: أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع؟!"(٢).

فقد تنبهوا لأهمية جمع البيانات وتدوينها في مكانز ومدونات لغوية، ومن ثم تحليلها وتوصيفها، ثم تقعيد القواعد الخاصة بلغة العرب في عصور الاحتجاج.

وكما سبق فقد كانوا يجمعون اللغة من المتحدثين الأصليين للغة ممن لم يختلطوا بالأمم الأخرى بغض النظر عن متغير السن.

قضايا لسانية اجتماعية بعد جمعهم وتحليلهم للبيانات :

ومن الأمور التي تنبه لها علماء العربية القدامى، وهي من ضمن الدرس اللساني الحديث، بعض القضايا التي تدرسها اللسانيات الاجتماعية. ومن أبرز هذه القضايا هي قضية الازدواجية اللغوية من حيث المستوى العالي والمستوى المنخفض، وكذلك التنوعات اللغوية " Dialectal Variations" والاختلافات اللهجية، واللغة/ اللهجة المرموقة "Prestigious Variety" وكذلك اللهجة المرذولة وغيرها من القضايا التي كانت حاضرة في تصنيفهم للمادة العلمية التي جمعوها (Ferguson, 1959; Bassiouney, 2009; Albiriny, 2016)(٣).

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ص ٣٦.

(٢) تعليق من أمالي ابن دريد، ابن دريد، ص٢٢٤.

(3) ينظر: *Modern Arabic sociolinguistics: Diglossia, Variation, Codeswitching, Attitudes and Identity*, Albirini

=

فقد حكموا على لهجة قريش بأنها اللهجة المرموقة "Prestigious Variety"، وقارنوها بغيرها من اللهجات ضمن ما يعرف في اللسانيات الاجتماعية المعاصرة باسم التنوعات اللهجية "Dialectal Variations" وحكموا عليها وكذلك توزيعها الجغرافي، فرسموا خريطة لتلك التنوعات من خلال نسبتها للقبائل التي تستخدم تلك التنوعات والاختلافات. قال الفراء: "كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون جميع لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ. من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فيقولون رأيتكش وبكش وعليكش. فمنهم من يثبتها حال الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقول: "منش وعليش". ومن ذلك الكسكسة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا على ما تقدم وقصدوا بذلك الفرق بينهما. ومن ذلك العنعنة وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون في أنك: عنك، وفي أسلم: عسلم، وفي إذن: عذن. ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عينا. ومن ذلك الوكم في لغة ربيعة وقوم من كلب يقولون عليكم عليكم وبكم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة. ومن ذلك العجعجة في قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون في تميمي: تميمج. ومن ذلك الاستنطاء لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء كـ(أنطى) في (أعطى). ومن ذلك الوتم في لغة اليمن تجعل السين تاء كـ(النات) في (الناس). ومن ذلك الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا كـ(لبيش

Arabic Sociolinguistics, Bassiouney
Diglossia, Ferguson

اللهم لبيش)، أي لبيك. ومن العرب من يجعل الكاف جيما كـ(الجعبة) يريد الكعبة"[١].

أما من حيث الحكم على لهجة ما بأنها المرموقة، ولهجة أخرى بأنها مرذولة أو شاذة فمن ذلك أن سيبويه -مثلا- يفضل لغة أهل الحجاز ويجعلها هي الأولى والأصل، ثم تأتي بعدها لغة تميم وهكذا، تقول الدكتورة الحديثي: "وأول ما نلاحظه اهتمامه [سيبويه] بلغة الحجاز واعتماده عليها بالدرجة الأولى فهو يراها أعلى اللغات وأفصحها وأقدمها وقد وصفها مرة بأنها القديمة الجيدة ... ووصفها أخرى بأنها اللغة الأولى القدمى يقول: فأما ما كان آخره (راء) فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا في (يرى)، والحجازية هي اللغة الأولى القدمى"[٢].

وفي مواضع أخرى يحكم على بعض لهجات العرب بأنها رديئة، ومن ذلك ما ذكرته الدكتور الحديثي: "وذكر [سيبويه] لغة أخرى هي لغة ربيعة، وقد اعتبرها لغة رديئة أيضا لقوله: واعلم أن قوما من ربيعة يقولون: (مِنْهِم) أتبعوها الكسرة، ولم يكن المُسَكن حاجزا حصينا عندهم. وهذه لغة رديئة إذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل ... وأما أهل هذه اللغة الرديئة فجعلوها بمنزلة (مِنْتِن)"[٣].

فكتاب سيبويه مليء بمثل هذه الأحكام على لهجات العرب من حيث الفصاحة والرداءة، وغيرها من الأحكام.

وأما من ناحية التحليل الكمي، فمن الشواهد على ذلك حكمهم على اللغات وتخريجهم للشواهد الشعرية وتصنيفها ما بين مطرد وغالب وكثير وقليل ونادر وشاذ، وغيرها من الأحكام

(١) الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص ٤١٤-٤٢٠

(٢) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص١٩٢.

(٣) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص١٩٧.

التي تقابل في التحليل الكمي في الدرس اللساني المعاصر الحكم على الظاهرة اللغوية بأن التحليل الكمي ذو دلالة إحصائية كبيرة أو مهمة أو غير مهمة أو ليس له دلالة إحصائية. فعلماء العربية القدامى بعد أن جمعوا لغة العرب ودونوها في مكانز لغوية حسب إمكانيات عصرهم، حللوا تلك اللغة من حيث الاستخدام، فمنها المطرد، ومنها الغالب، ومنها القليل أو الشاذ أو النادر. كما ذكرت الحديثي، فقالت: "وقد كان المسموع عندهم أساس كل شيء وعليه اعتمدوا في تقعيد النحو والصرف، وقد قسموا هذا المسموع إلى: مطرد وغالب وكثير وقليل ونادر وشاذ وضعيف وضرورة"(١).

وقد وضح ابن هشام الفروق بين هذه التصنيفات، فقال: "اعلم أنهم يستعملون غالبا وكثيرا ونادرا وقليلا ومطردا، فالمطرد الذي لا يتخلّف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دونه، والنادر أقل من القليل، فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فاعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك "(٢).

(١) المرجع السابق، ص١٥٧.

(٢) الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص٩٨-٩٩.

الخاتمة :

وبعد هذا الاستعراض لمنهجية علماء العربية القدامى من أمثال أبي عمرو بن العلاء والأصمعي ويونس والخليل وغيرهم من العلماء ممن جمعوا لغة العرب ثم أسسوا علوم العربية بناء على ما جمعوه من لغة العرب وحفظوه، يتضح بجلاء انتهاجهم منهجا علميا صارما، ويمكن القول بأن تلك المنهجية التي وضعوها ورسموها ثم تقيدوا بها وعملوا بها لا تختلف كثيرا عن منهجية اللسانيين المعاصرين في جمعهم للبيانات وتحليلها. فقد اتبعوا المنهج الوصفي الكيفي وكذلك الكمي في جمعهم للغة العرب، وتدوينها ثم تحليلها وفق الإجراءات التي بينتها هذه الدراسة ووضحتها.

فقد تنبهوا لأهمية جمع لغة العرب خدمة للقرآن الكريم، ثم شمروا ساعد الجد بجمع لغة العرب، ولم تكن عملية الجمع والتدوين للغة العرب عملية اعتباطية. بل إنهم وضوعوا المنهجية والقواعد لجمع لغة العرب ومن ثم تحليلها. فكانت أول خطوة اتبعوها هو البحث عن الأعراب الفصحاء في بوادي جزيرة العرب ممن لم يختلطوا بالأعاجم والأمم المجاورة لجزيرة العرب؛ وبالتالي احترزوا من قضية الاحتكاك اللغوي وتأثيرها على اللغة الأم التي هي العربية، لغة القرآن الكريم، ولغة النبي محمد -ﷺ-.

فكانت أول قضية تنبهوا لها هي قضية الاحتكاك اللغوي، فبحثوا عن الأعراب الموغلين في البداوة والصحراء، وأخذوا عنهم، وكانوا يعملون لهم اختبارات قبلية حتى يتأكدوا أنهم ممن يوثق بعربيتهم، وسليقتهم وفطرتهم اللغوية من خلال تلك الاختبارات القبلية، إضافة إلى توظيف منهج اللسانيات النفسية لاختبار سليقتهم وفطرتهم اللغوية من خلال بعض الاختبارات التي يتم فيها التلاعب في اللغة للتأكد من سلامة سليقتهم اللغوية.

وبعد أن يتأكدوا من سلامة سليقتهم اللغوية، تنبه علماء العربية القدامى لما يسمى في اللسانيات المعاصرة بالانحسار أو التحات اللغوي، فكانوا يتعاهدون أولئك الأعراب الذين

جمعوا عنهم اللغة بالاختبارات اللغوية ليتأكدوا أن سليقتهم اللغوية لم تتحات ولم تنحسر، وبالتالي لم تضعف لغتهم الفصحى.

وبعد أن جمعوا لغة العرب وفق تلك المعايير الصارمة، وثقوها ودونوها في مكانز لغوية، حيث كتبوا لغة العرب ودونوها، ومن ثم أخضعوها للتحليل الكمي والكيفي. وصنفوا لهجات العرب من حيث الكثرة والغلبة والندرة والشذوذ، وكذلك من حيث المكانة والمنزلة وما هو منها فصيح ومرموق وما هو رديء ومرذول.

وبالتالي فإنه يمكن الختم بأن علماء العربية القدامى قد سبقوا عصرهم، وأسسوا مناهج لسانية في جمع اللغة وتدوينها وتحليلها لا تختلف كثيرا عن المناهج التي يتبعها اللسانيون في عصرنا الحاضر.

ولذلك فإنه من الأبحاث والدراسات التي توصي بها هذه الدراسة هو التوسع في دراسة جهود علماء العربية القدامى، لا سيما في المجالات التخصصية الدقيقة، مثل جهودهم النحوية، الـ صرفية، الدلالية، التداولية وغيرها من الفروع الدقيقة، ومقارنتها بالنظريات الحديثة في اللسانيات الغربية المعاصرة

جدول ١ ثبت بالمصطلحات اللسانية الواردة في الدراسة[١]

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الإنجليزية	تعريفه
جمع البيانات / جمع اللغة	Data Collection	عملية جمع وقياس المعلومات حول المتغيرات المستهدفة في نظام قائم، والذي يمكّن الفرد بعد ذلك من الإجابة على الأسئلة ذات الصلة وتقييم النتائج. جمع البيانات هو أحد مكونات البحث في جميع مجالات الدراسة بما في ذلك اللغات.
الاحتكاك اللغوي	Language Contact	حالة يستعمل فيها المتكلم أو المجتمع لغتين أو أكثر وهذا يترتب عليه الازدواج اللغوي، وقد يحدث بين اللغتين أو اللغات المحتكة امتزاج وتداخل، وربما تولد لغة جديدة نتيجة هذا الاحتكاك.
السليقة اللغوية	Language Intuition	قدرة يمتلكها المتكلم العفوي للغته وبمقتضاها يستطيع إصدار أحكام على متواليات لغة وتراكيبها من خلال الحكم عليها بأنها صحيحة أو غير صحيحة، أو مقبولة أو غير مقبولة في لغته من خلال حدسه اللغوي.
الازدواجية اللغوية	Diglossia	عرفها ((Ferguson 1959 على أنها وجود شكلَيْن أو مستويين مختلفيْن من اللغة ذاتها في المجتمع اللغوي ذاته، مستوى عالٍ فصيح، ومستوى عامي منخفض، بحيث يكون لكل مستوى أغراض واستخدامات مختلفة عن الأخرى.
الخلط اللغوي	Lingua Franca	نسق لغوي ذو قواعد تأليف ومفردات معجمية ناتجة عن لغات متمازجة بين لغتين أو أكثر وليس لهم وسيلة اتصال سوى هذه اللغة المختلطة.
التناوب اللغوي	Codeswitching	استعمال الشخص خلال التواصل لملفوظ يتألف من جمل أو أجزاء من الجمل من لغتين مختلفتين، ويقوم بالتبديل بينهما على مستوى المفردات أو التراكيب.
اللغة البينية	Interlanguage	هي اللغة التي يبتدعها متعلمو اللغة الثانية، وهذه اللغة تتألف من عناصر عديدة جداً، كثير منها لاسيما التراكيب مأخوذة من

(١) ينظر: معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك.

معجم المصطلحات اللسانية، عبد القادر الفاسي الفهري.

		اللغة اللأم للمتحدث وعناصر أخرى لا سيما المفردات من اللغة المستهدفة بالتعلم.
الاقتراض اللغوي	Borrowing	يثبت الاقتراض اللغوي حين تستعمل اللغة (أ) وحدة أو سمة لغوية من اللغة (ب)، ويُعد الاقتراض اللغوي الظاهرة اللسانية الاجتماعية الأكثر أهمية في احتكاك اللغات.
الانحسار/التحات اللغوي	Language Attrition	هو عملية خسارة وانحسار لغة الإنسان بسبب عدم استخدامه لها، واستخدام لغة أخرى تقوم مقام لغته الأولى.
التنوعات اللغوية	Dialectal Variation	الأشكال اللغوية المختلفة التي يمكن استخدامها للتعبير عن نفس المعنى الدلالي الذي له معاني اجتماعية مختلفة بشكل عام بسبب وجود اختلافات وتنوعات لغوية تتضمن المستوى العالي الفصيح والمستوى العامي المنخفض، وبينهما يوجد عدد من المتغايرات والتنويعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي.
اللهجة المرموقة	Prestigious Variety	المستوى اللغوي المرموق الذي يحاول أبناء المجتمع اللغوي محاكاته واستخدامه في حديثهم وتخاطبهم.
اللهجة المرذولة	Low Variety	المستوى العامي المنخفض الذي يبتعد عن المستوى العالي الفصيح، وهو مقارب لما سماه بدوي "عامية الأميين"(١).
المنهج الإثنوغرافي	The Ethnographic Approach	نموذج من نماذج البحوث الكيفية، يتضمن جمعا مكثفا للبيانات على فترة ممتدة من الزمن في البيئة الطبيعية للمشاركين في الدراسة من خلال التعايش معهم والتفاعل معهم.
اللغة الهجين/مهجنة	Pidgin	لغة ناتجة عن امتزاج لغتين فتكون المفردات من لغة والتراكيب من لغة أخرى.
اللغة المولدة	Creole	لغة ليست لهجة أو لغة ما، بل هي تطور للغات الهجينة، بحيث يكون لها قواعد خاصة ومفردات ممزوجة من لغتين أو أكثر، وأصبحت لظروف تاريخية وسوسيو ثقافية اللغة الأم لمجتمع لغوي معين، مثل لغة هاييتي.

(١) بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر، السعيد بدوي، ص١٨٩.

المراجـــع

- الأكرت، عبد التواب. (٢٠١٠). ميزان الذهب فى معرفة لهجات العرب. مكتبة الآداب، القاهرة.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني. (١٩٦٣). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطانجي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٩٨١). *العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. تحقيق: خليل شحادة & سهيل زكار. دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. (١٩٨٤). *تعليق من أمالي ابن دريد*. تحقيق: السيد مصطفى السنوسي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.
- آل الاصلع، سعيد. (٢٠١٩). التناوب اللغوي بين الفصحى والعامية لدى المجتمع السعودي في تويتر وانعكاساته على تعليم العربية للناطقين بغيرها، *المؤتمر الدولي الثالث اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية*، معهد اللغويات العربية – جامعة الملك سعود، ص:٥٨٩-٦١٥.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. (٢٠٠٢). البيان والتبيين. تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال. بيروت، لبنان.
- الحديثي، خديجة. (١٩٧٤). *الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه*. مطبوعات جامعة الكويت.
- الخولي، محمد. (١٩٩١). *معجم علم اللغة النظري*. مكتبة لبنان.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٨). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق: فؤاد

علي منصور. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٨٩). *الاقتراح في أصول النحو وجدله*. تحقيق: محمود فجال. دار القلم، دمشق.
- الطنطاوي، محمد. (٢٠٠٥). *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*. تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
- الفاسي الفهري، عبد القادر& العمري، نادية. (٢٠٠٩). *معجم المصطلحات اللسانية*. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف. (١٩٨٢). *إنباه الرواة على أنباه النحاة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة.
- بدوي، السعيد. (١٩٧٣). *مستويات العربية المعاصرة في مصر بحث في علاقة اللغة بالحضارة*. دار المعارف بمصر.
- بشر، كمال. (١٩٩٧). علم اللغة الاجتماعي مدخل، ط٣، دار غريب، القاهرة، مصر.
- عبد التواب، رمضان. (١٩٨٢). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد التواب، رمضان. (١٩٩٠). *فصول في فقه العربية*. مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٩٩). *الخصائص*. تحقيق: محمد على النجار. الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- مبارك، مبارك. (١٩٩٥). *معجم المصطلحات الألسنية*. دار الفكر اللبناني، بيروت.

- Albirini, A. (2016). *Modern Arabic sociolinguistics: Diglossia, Variation, Codeswitching, Attitudes and Identity.* London: Routledge.
- Androutsopoulos, J. (2013). Online data collection. In C. Mallinson, B. Childs, G.V. Herk (Eds.), *Data collection in sociolinguistics: Methods and applications*, 236–249. Routledge, London.
- Bassiouney, R. (2009). *Arabic Sociolinguistics*. Edinburgh University Press Ltd.
- Crystal, D. (2008). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics* (6th ed.). Wiley.
- Ferguson, C. A. (1959). Diglossia. *word*, *15*(2), 325-340.
- Fischer, E., & Engelhardt, P. E. (2016). Intuitions' linguistic sources: Stereotypes, Intuitions and Illusions. *Mind & Language*, *31*(1), 67-103.
- Haegeman, L. (2020). *Introduction to government and binding theory*. Wiley-Blackwell.
- Kootstra, G. (2015). A psycholinguistic perspective on code-switching: Lexical, structural, and socio-interactive processes. In G. Stell & K. Yakpo (Ed.), *Code-switching Between Structural and Sociolinguistic Perspectives.* (pp. 39-64). Berlin, München, Boston: De Gruyter.
- McEnery, Tony & Andrew Wilson. 2005. *Corpus Linguistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2nd Edition.
- Winford, D. (2005). Contact-induced changes: Classification and processes. *Diachronica*, 22(2), 373-427.
- Sapir, E. (1921). Language as a historical product: Drift. In E. Sapir, *Language: An introduction to the study of speech* (pp. 147–170).
- Thomason, S. G., & Kaufman, T. (2001). *Language contact*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ١٨٨٥

المقدمـــة ١٨٨٧

منهجية علماء العربية القدامى في جمع البيانات وتحليلها: ١٨٩٣

الاحتكاك اللغوي وتأثيره **Language Contact Influence** ١٨٩٣

الاختبارات القبلية لمن تؤخذ عنهم اللغة **language assessment** ١٨٩٨

التحات اللغوي **Language Attrition** ١٩٠٠

السليقة اللغوية ودورها في إصدار الحكم النحوي **Grammaticality Judgment** ١٩٠١

في علم اللغة النفسي. ١٩٠٢

كذلك نجد أنهم قد سبقوا في وضع المكانز اللغوية **Corpus Linguistics** ١٩٠٣

الخاتمة ١٩٠٩

المراجـــع ١٩١٣

فهرس موضوعات البحث ١٩١٦